الأَديبْ و المُفَكِّرْ الرَّاحِل
رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد
عودة إلى الماضـي

الحلقة الثامنة والأربعون

مقدمة البرنامج..

مؤثرات..

كعب: " يرفع صوته " أين أنت يا أبا قتادة؟ أبا قتادة! ألا تسمعني؟ أنا ابن عمك وأنت أحبّ الناس إليّ! السلام عليك ورحمة الله " فترة صمت " لماذا لا ترد؟ هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟ " فترة صمت " قل لي بالله عليك: هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟ " فترة صمت " ما بالك؟ لم لا تجيب؟ أرجوك أن تقول: هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟

خالد: على رسلك يا كعب.

كعب: ماذا يا خالد؟

خالد: أوَلم يجبك رغم كل الذي فعلته؟

كعب: قال لي بعد المناشدة الثالثة: الله ورسوله أعلم. وهنا اسودت الدنيا في عيني.. ثم فاضت عيناي بالدموع فتركتها تسيل لأتخفّف مما كنت فيه ووثبت فتسوّرت جدار البستان عائداً من حيث أتيت ثم غدوت إلى السوق. وبينا كنت أمشي فيه وحيداً أحسّ وكأني مطارد من الجميع كانت المفاجأة الرهيبة التي لم أكن أترقب حدوثها..

خالد: مفاجأة؟ وما هي هذه المفاجأة؟

كعب: لقد رأيت نبطياً يسأل عني من نبط الشام ممن يحملون القمح يبيعونه بالمدينة. كان يقول: من يدلّني على كعب بن مالك؟ فجعل الناس يشيرون إليّ دون أن يكلموني.

خالد: الحقيقة يا كعب أنّ فيما جرى لك ما يدعو إلى العجب والدهشة.

كعب: وجاءني الرجل فدفع إليّ كتاباً من ملك غسان مكتوباً على قطعة من الحرير فقرأته فإذا فيه: أما بعد، فإنّه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسيك.

خالد: صدقت يا كعب.. فإنّ من البلاء أن يظن هذا الرجل فيك مثل هذا الظنّ فتسوّل له نفسه أن يكاتبك ويحرضك على ترك النبي عليه السلام.

كعب: ولا أخفي عليك يا خالد أنني قلت في نفسي: وهذا من البلاء العظيم أيضاً.. لقد بلغ بي ما وقعت فيه أن طمع فيّ رجل من أهل الشرك. ثم عمدت بكتاب ملك غسان الى تنّور فأحرقته فيها. واستمر هذا البلاء يا كعب أربعين ليلة لا ندري نحن الثلاثة ما الله فاعل بنا.. كنا نعيش في خوف مستمر وقلق دائم.. وفي اليوم الأربعين جاءتنا مفاجأة جديدة ضاعفت خوفنا وقلقنا وخيل إلينا معها أنّ الله سبحانه وتعالى لن يقبل توبتنا.

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

خالد: مفاجأة في اليوم الأربعين؟ وما ذاك يا كعب؟

كعب: لقد جاءني رسولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لي: إنّ رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك. قلتُ: أطلّقها أم ماذا؟ قال: لا بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبيّ بمثل ذلك. فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ما هو قاض.

خالد: لكن الذي أعلمه يا كعب أنّ هلال بن أمية لم تفارقه امرأته.

كعب: ذلك أنها جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لا خادم له أفتكره أن أخدمه؟ قال: لا.. ولكن لا يقربنّك. قالت: والله يا رسول الله ما به من حركة إلي.

خالد: لقد كان على امرأتك أن تستأذن رسول الله للبقاء عندك.

كعب: لم يغب هذا عن بعض أهلي لكنّني أجبتهم: والله لا أدعها تستأذنه فما أدري ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لو استؤذن فيها وأنا رجل شاب. المهم أننا لبثنا بعد ذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا. وفي فجر الليلة الخمسين صلّيت الصبح على ظهر بيت من بيوتنا على الحال التي ذكر الله منا قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت وضاقت عليّ نفسي.. وقد كنت أثنيت خيمة في ظهر سلع فكنت أكون فيها إذ سمعت صوت صارخ أو في على ظهر سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك؟ أبشر.. فخررت ساجداً وعلمت أن قد جاء الفرج فكنت أنت صاحب البشرى..

نقلة موسيقية.....

سالم: هكذا تنتهي حكاية الثلاثة الذين خلّفوا يوم غزوة تبوك. ولقد رغبت أيها الأخوة في أن أوردها كما جاءت في كتب السيرة قدر المستطاع لتستبينوا أبعاد النموذج الإسلامي الذي ذكرت لكم دائماً أنه ليس بمسبوق ولا ملحوق. فأنا لا أستطيع أن أتصور مدينة بأسرها يلتزم الرجال والنساء فيها للأوامر التي صدرت إليهم من قائدهم دون أن يشعروا بالقهر.. ودون أن يخافوا رقابة رقيب.. فقد كان لهم من إيمانهم رقيب أكبر.. وكان لهم من ثقتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حافظ يحفظهم من الشك في سلامة ما يتخذه من القرارات والريبة في الغرض منها.

عبد الله: ليت أنّا نستطيع أن نعيد هذه المحاولة؟ فهل تظن يا أستاذ سالم أنّ السبيل إليها ممكنة؟

سالم: ولم لا يا عبد الله.. ذلك لأنّ النموذج الإسلامي الذي ظهر في أيام الدعوة الإسلامية الأولى لم ينقطع بوفاة النبي عليه السلام. بل استمر يفعل فعله في النفوس فكان جيل وراء جيل يأخذ عن السابقين أخلاقهم ويقتبس عاداتهم ويسير على آثارهم.

محمود: لكننا لا نستطيع يا أستاذ سالم أن نقول: إن الأجيال اللاحقة على ما كانت تتصف به من الخير والاستقامة والصدق في الايمان كانت مقارنة للجيل الأول!

سالم: هذا صحيح على ألا ننسى أبداً بأنّ موجات التشكيك التي ظهرت بعد ذلك والأفكار الغريبة التي انتشرت بما كان فيها من بهارج وتزاويق قد زلزلت القلوب وأحدثت الذعر في النفوس وضللت كثيراً من العقول..

عبد الله: وأضيف إلى ما ذكره الأستاذ سالم أنّ التيارات المنكرة والمؤامرات التي تعرّض لها الإسلام من أعداء كانوا يعيشون داخل المجتمع الإسلامي وعند حدوده الخارجية قد ساعدت على تحقيق الهرج والفوضى..

سالم: ومع ذلك فإني أحب أن ألفت نظركم إلى الحقيقة التي أشرت إليها في غير هذا اللقاء.. والتي قلت فيها يكفي المسلمين فخراً أنهم رغم كل ما تعرّضوا له من النكبات ونزل بهم من المصائب وسلط عليهم من الثقافات المضللة استطاعوا أن يحتفظوا بجوهر هذا الدين سالماً وبلغة هذا الدين التي يحفظ بها كلام الله ويستمر بها وحي السماء ينبوعاً لا ينضب لإحياء القلوب الميتة وإنارة العقول المظلمة.

محمود: ألا ترى يا أستاذ سالم أنّ المهم في عملية صنع النماذج الصالحة بفعل الإسلام تفتقر إلى القيادة الواعية؟ وأنّ فقدان القيادة يضيع على المسلمين حظهم من النصر.

سالم: ماذا تقول يا عبد الله في رأي الأخ محمود؟

عبد الله: الواقع يا أستاذ سالم أنّ للقيادة دورها الفعال في توجيه الناس إلى ا لخير..

سالم: وأنا وإن كنت أوافق على صحة ما ذكرته يا عبد الله وتسليمي بأنّ النجاح في صنع النماذج الصالحة بفعل الإسلام يفتقر إلى القيادة الواعية كما يقول الأخ محمود، لكنني في الوقت نفسه أذكركما بحقيقة قرآنية هامة.. لقد قال تبارك وتعالى في محكم تنزيله: " إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ"..

محمود: وما هي العلاقة بين هذا النص القرآني وبين الرأي الذي نناقشه؟

سالم: العلاقة واضحة جداً.. إنّ عملية التغيير ليست مطلباً موجّهاً إلى الأقوياء والقادة من الناس أو من المسلمين بخاصة أنها موجّهة إلى الجميع ذلك لأنّ المسؤولية مشتركة.. فكل نفس بما كسبت رهينة.

عبد الله: هذا كلام منطقي معقول.. ولقد ذكرتني يا أستاذ سالم بالحوار الذي يجري بين الملائكة والمستضعفين من الناس حين برر هؤلاء الآخيرون استكانتهم بدعوى أنهم كانوا مظلومين على أمرهم.. فقيل لهم: أوَليست أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟ وإذاً فإنّ التفاوت في الطبقة أو الوظيفة لا يعفي أصحاب أية طبقة من الطبقات من مسؤولية القيام بأمر الله.

سالم: وأضيف إلى ما قاله الأخ عبد الله.. من أجل ذلك يجب أن يتقرر عندنا أن في وسعنا جميعاً مهما تباينت مراتبنا أن نقوم بدور قيادي بالقدر الذي نظهر فيه حماسة لرسالة الإسلام وحصانة في التصرف وجرأة في اتخاذ المواقف.

عبد الله: " فترة صمت " الآن وقد سمع الأخ محمود ما سمع فإني أعتقد أنه قد أصبح مقتنعاً بوجهة نظرك يا أستاذ سالم..

محمود: صدقت يا عبد الله.. بل أقول لكما أكثر من ذلك: لقد بدأت تتداعى في خيالي صور وحكايات موثوقة رواها التاريخ تؤكد صدق الرؤية التي جاء بها الأستاذ سالم.

سالم: مثل ماذا يا أخ محمود؟

محمود: لقد تذكرت تلك المرأة العجوز التي ردت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين حاول أن يحدد المهور فذكرته بقول الله عز وجل: "وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا"..

عبد الله: وأضيف إلى حكايتك حكاية البدوي الذي قال لعمر رضي الله عنه: لو رأينا فيك اعوجاجاً لقوّمناه بحدّ هذا السيف..

سالم: لا داعي لإيراد شواهد تاريخية أخرى.. المهم أن نتذكر حقيقة هامة هي أنّ القادة الكبار يستمدّون من مساندة الناس لهم ومن وعي الناس برسالة دينهم ومن حفاظهم على جوهر الدعوة إلى الله القوة والصمود والقدرة على التحرك.. إنّ القائد أيها الأخوة مهما يكن أمره ومهما تكن عبقريته وحكمته في التدبير يبقى واحداً من المجتمع الذي ينتمي إليه.. إنه المرآة التي تنعكس عليها صورة المجتمع.. إنه لا يتجاوز عصره لأنه إن فعل لا يعود مفهوماً من الناس ولكنه يمثل النموذج الذكي القوي للعصر الذي يعيش فيه.. إنّ المطلوب من المسلمين اليوم هو العمل على صنع النموذج الإسلامي في ضوء روح الماضي والعودة إلى الحقائق الثابتة التي جاء بها هذا الدين ا لحنيف.. من هنا تكون البداية إذ لا يصلح آخر هذا الأمر إلا بما صلح به أوّله بالمعنى الذي حدثتكم عنه.. أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله..

موسيقى نهاية.....